أمين والاهتمام بمصير قناة السويس ؟

وهل صوَّر هذا الكتاب جهود طلعت حرب فى إنهاض « الجمعية الخيرية الإسلامية » ؟

هل صوَّر هذا الكتاب جهاد طلعت حرب فى إعزاز الشخصية الأدبية ؟

إن كتاب الأديب مصطفى كامل الفلكى على نفاسته قد أغفل هذه الجوانب ، فهل يعود إلى ترجمة طلعت حرب من جديد لنعرف كيف يصير الأديب رجل عمل واقتصاد ؟

هنا المشكلة الحقيقية وهى درس الصلة بين الأدب والمعاش ، فأين من يفهمنا كيف صار طلعت حرب الأديب طلعت حرب الاقتصادى ؟ وأين من يفهمنا كيف جاز أن ينتقل الرجل من نقد الألفاظ إلى نقد الأموال ؟

زكى مبارك

فى الاجتماع اللغوى

تطور اللغـــة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : التجديد فى اللغة

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تبدو حركة التجديد المقصود فى مظاهر كثيرة من أكبرها أثراً فى التطور اللغوى الأمور الآتية :

١ — تأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية ، واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها أو مصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبى والعلمى . فلا يخفى ما لهذا كله من أثر بليغ فى نهضة لغة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها . والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ الأمم الغابرة وفى العصر الحاضر . فأكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى عصر بنى العباس يرجع إلى انتفاع العلماء والأدباء باللغتين : الفارسية والإغريقية . فقد أخذوا فى ذلك العصر يترجمون آثارهما ، ويعقبون عليهما بالشرح والتعليق ، ويستغلونهما فى بحوثهم ، ويحاكون أساليبهما ، ويقتبسون منهما عدداً كبيراً من المفردات العلمية وغيرها ، ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ؛ فاتسع بذلك متن اللغة العربية ، وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلوم . ويرجع كذلك أكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى العصر الحاضر إلى انتفاع الصحفيين والأدباء والعلماء باللغات الأوربية الحديثة ، ومحاكاتهم لأساليبها وتعريبهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها ، واستغلالهم فى مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها فى شتى ميادين الحركة الفكرية . ولغة الكتابة بفرنسا فى العصر الحاضر مدينة بأهم نواحى رقيها إلى تأثرها باللغتين الإغريقية واللاتينية من جهة ، وباللغات الأوربية الحديثة من جهة أخرى . فمنذ « عصر النهضة » لم ينفك أدباء فرنسا وعلماؤها دائبين على اقتباس المفردات اللاتينية واليونانية القديمة ، ومحاكاة أساليب هاتين اللغتين ، وترسم قواعدها ومناهجها فى البحث[1] . وقد أخذوا منذ عهد غير بعيد يقتبسون كثيراً من المفردات والأساليب من اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الإنجليزية والألمانية ؛ ولولا آلاف المفردات التى اقتبسها المحدثون من أدباء ألمانيا وعلمائها من اللغة اللاتينية وما تفرع عنها ومن اللغات الأوربية الحديثة ، وبخاصة الفرنسية والانجليزية ، ما قويت لغة الكتابة بألمانيا على أن تصل إلى الشأو الذى بلغته الآن . . . ومثل هذا يقال فى معظم لغات الكتابة فى العصر الحاضر

وكثيراً ما تقتبس لغة الكتابة من اللغات الأخرى مفردات لها نظير فى متنها الأصلى . وكثيراً ما تقتبس مفرداً من لغة ، وتقتبس نظيره فى الدلالة من لغة أخرى . وإلى هذه الظواهر وما إليها يرجع السبب فى كثرة الألفاظ المترادفة (المشترك المعنوى) فى لغات الكتابة . فما يذهب إليه بعضهم من أن الترادف بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لا وجود له فى اللغات ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق ببعض لغات المحادثة التى تظل بمأمن من الاحتكاك باللغات الأخرى . أما لغات الكتابة التى يستحيل بقاؤها بمعزل عن غيرها ، ولغات المحادثة التى يتاح لها هذا الاحتكاك ، فلا تخلو من الترادف بالمعنى الصحيح للسبب الذى ذكرناه

٢ — إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة

(١) انتشرت بفرنسا حركة المحاكاة للقواعد والأساليب اللاتينية بفضل كتاب القرن السابع عشر ، وعلى الأخص بلزاك وديكارت وبوسويه

فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن معان لا يجدون فى المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو لمجرد الرغبة فى استخدام كلمات غريبة أو فى الترفع عن المفردات التى لا كنها الألسنة كثيراً

وبكثرة الاستعمال تبعث هذه المفردات خلقاً جديداً ، وتزول ما فيها من غرابة ، وتندمج فى التداول المألوف . ولا يخفى ما لذلك من أثر فى نهضة لغة الكتابة واتساع متنها وزيادة قدرتها على التعبير . وقد سار على هذه الوتيرة بمصر فى العصر الحاضر كثير من الأدباء والعلماء والصحفيين ، فردوا بذلك إلى اللغة العربية جزءاً كبيراً من ثروتها المفقودة ، وكشفوا عن عدة نواح من كنوزها المدفونة فى أجداث المعجمات[1]

٣ — خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة . فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن أمور لا يجدون فى مفردات اللغة المستعملة ، ولا فى مفرداتها الدائرة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً . وقد لا يضطرهم إلى ذلك إلا مجرد الرغبة فى الابتداع أو مجانبة الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو إبراز المعنى فى صورة رائعة وتثبيته فى الأذهان وتذليل سبل انتشاره بالإغراب فى تسميته . وقد عم استخدام هذه الطريقة فى الأمم الأوربية منذ القرن التاسع عشر ، وكثر التجاء الأدباء والعلماء إليها بنوع خاص فى تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية ، والمصطلحات العلمية والأحزاب والمبادئ السياسية والاجتماعية ، وفى التعبير عن بعض معان دقيقة فى عالم الأدب والفلسفة ، فنامت مؤلفاتهم بهذه الكلمات المصنوعة وتألف منها معظم المصطلحات فى الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة . . . وما إلى ذلك ، وصبغ معظم هذه المصطلحات بصبغة دولية ، فأقرته المؤتمرات والهيئات العلمية الممثلة لمختلف الأمم الأوربية وعم استخدامها فى لغاتها (تلغراف ، تليفون ، سوسيولوجيا ، جيولوجيا ... الخ) ، وقد أجاز المجمع اللغوى بمصر الالتجاء إلى هذه الطريقة حيث تدعو إلى ذلك ضرورة ، بألا يوجد فى مفردات اللغة متداولها ومهجورها ما يعبر تعبيراً دقيقاً عن الاصطلاح المراد التعبير عنه

ولا يخفى ما لهذه الوسيلة من أثر فى نهضة لغة الكتابة ، واتساع متنها ودقة مصطلحاتها وزيادة مروتها وقدرتها على التعبير

وقد ارتضى الأدباء والعلماء بعض قواعد عامة فى وضع هذه الألفاظ ، ويستعينون عادة فى تكوينها بالنحت والاشتقاق الأكبر ومزج كلمتين أو أكثر فى كلمة واحدة . ويستمدون أصولها من اللغات الحية أو الميتة ، وخاصة اللاتينية واليونانية القديمة . وكثيراً ما يستعان فى تكوينها بأكثر من لغة واحدة . فمن هذه المفردات ما هو مؤلف من لغتين « سوسيولوجيا » أى علم الاجتماع : فمصدر الكلمة « سوسيو » من أصل لاتينى معناه الجمعية ، ومجزها « لوجيا » من أصل يونانى معناه المقال أو البحث أو الخطبة (" Sociologie " : du latin " societas " = société, et du grec " logos " = discours) بل منها ما هو مؤلف من ثلاث لغات « بيسيكلت » أى الدراجة ، فإن « بى » من أصل لاتينى يدل على الثنية ، و « سيكل » من أصل يونانى معناه الدائرة ، ومجز الكلمة علامة فرنسية للتصغير (Bicyclette : du latin "bi" = deux fois, et du grec "kuklos" = cercle, dt du suffixe diminutif français).

وقوام هذه المفردات هو التواضع والاصطلاح . ولذلك كثيراً ما تختلف معانيها اختلافاً يسيراً أو كبيراً عن معانى الأصول التى استمدت منها

ولا تبقى هذه الألفاظ جامدة على الحالة التى وضعت عليها ، بل ينالها ما ينال غيرها من المفردات ، وتخضع فى تطورها الصوتى والدلالى لنفس القوانين العامة التى تخضع لها الألفاظ الأصيلة ؛ فبمجرد أن يقذف بها فى التداول اللغوى ، وتتناقلها الألسنة ، تفلت من إرادة مخترعيها وتخضع لنواميس الارتقاء العامة المسيطرة على ظواهر الصوت والدلالة . فاللفظ الموضوع أشبه شىء بحجر يقذف به القاذف فى جهة معينة بقوة خاصة ؛ فإنه بمجرد أن يفارق يده يخضع فى سيره لقوانين ثابتة صارمة لا يد للقاذف ولا لغيره فى تعطيلها أو وقف آثارها . ولذلك يختلف الآن النطق بالألفاظ الموضوعة ، ويختلف رسمها باختلاف الأمم واللغات . والأسلوب الصوتى الذى كانت تلفظ به منذ قرن أو قرنين مثلاً غير الأسلوب الصوتى الذى تلفظ به الآن . وقد أخذ كثير منها عند جميع الكتاب أو عند بعضهم ينحرف فى دلالته نفسها عن المعنى الذى وضع له فى الأصل

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) لصديقنا الأستاذ أحمد حسن الزيات الفضل الأول فى هذا الابتكار